345000 ـ التوفيق بين حديث: (يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ ...) وبين حديث: (يا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي ..)

السؤال

كيف نوفق بين قول الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي)، وبين قوله تعالى في الحديث الآخر: (يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ، بيَدِي الأمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ)؟ أرجو تبسيط الإجابة حتى أفهمها جيدًا، وحتى أستطيع تعليمها للغير إن شاء الله.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ رواه البخاري (4826)، ومسلم (2246).

هذا لا يتعارض مع ما ورد في حديث أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي ... رواه مسلم (2577).

وعدم المعارضة تظهر من أوجه:

الوجه الأول:

تصور استدعاء الأذى للضرر، والملازمة بينهما: إنما يغلب في البشر، الذين من طبعهم الضعف والقصور، أما الله سبحانه وتعالى، فهو ليس كمثله شيء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

" وليس أذاه سبحانه من جنس الأذى الحاصل للمخلوقين، كما أن سخطه وغضبه وكراهته، ليست من جنس ما للمخلوقين " انتهى من "الصواعق المرسلة" (4 / 1751).

فهذا مثل صفة السخط، والسخط الذي يلحق الإنسان من تصرفات الغير قد يضره.

لكن الله تعالى نبه أن من يسخطه، فإن هذا لا يضره.

كما قال الله سبحانه وتعالى واصفا أهل الكفر والردة:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ محمد/28.

ومع أنهم أسخطوا الله تعالى بكفرهم وسوء أعمالهم، إلا أنهم لن يضروه، حيث قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ محمد/32.

الوجه الثاني:

أن (الأذى) : إنما هو فيما خف أمره، ولم يبلغ أن يكون ضررا بمن لحقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" ومما ينبغي أن يتفطن له أن لفظ الأذى في اللغة هو لما خف أمره، وضعف أثره من الشر والمكروه، ذكره الخطابي وغيره، وهو كما قال، واستقراء موارده يدل على ذلك، مثل قوله تعالى: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى).

ولهذا قال: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)، وقال سبحانه فيما يروي عنه رسوله: (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟)، وقال: (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ)، وقد قال سبحانه فيما يروي عنه رسوله: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي)، وقال سبحانه في كتابه: (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا).

فبين أن الخلق لا يضرونه سبحانه بكفرهم، لكن يؤذونه تبارك وتعالى إذا سبوا مقلب الأمور، وجعلوا له سبحانه ولدا أو شريكا، أو آذوا رسله وعباده المؤمنين " انتهى من "الصارم المسلول" (2 / 118 – 119).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

" لا يلزم من الأذية الضرر؛ فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك، ويتأذى بالرائحة الكريهة كالبصل والثوم ولا يتضرر بذلك، ولهذا أثبت الله الأذية في القرآن، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا). وفي الحديث القدسي: (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ) ونفى عن نفسه أن يضره شيء، قال تعالى: (إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا)، وفي الحديث القدسي:(يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي) " انتهى من"القول المفيد" (2 / 241).

وقال الشيخ عبد الله بن عقيل، رحمه الله :

" وأما الجمع بين الحديثين، فليس بينهما تناقض، ولا اختلاف بحمد اللَّه؛ لأن الأذى أخف من الضرر، ولا تلازم بينهما. وقد ورد إثبات الأذى في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ...

فاللَّه سبحانه وتعالى يتأذى مما ذُكر في الحديث، وإن كان لا يمكن أن يلحقه ضرر من عباده، كما قال تعالى: وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئًا الآية، وقال تعالى: وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا الآية. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: «ومن يعصهما ـأي: اللَّه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لا يَضُرُّ إلا نفسَه، ولا يَضُرُّ اللَّهَ شيئا" انتهى، من "فتاوى ابن عقيل" (2/273).

والله أعلم.